من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال منها الكثير والصحيح وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وإنه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل أو تسع وتسعين وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة ولكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له هون عليك فإني لست بملك الحديث

فأما

فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره

فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وإنما هي للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي

خازن